مجلة التربوي

مجلة علمية محكمة تصدر عن كلية التربية

جامعة المرقب

العدد الثاني عشر
يناير 2018م

هيئـــــــة التحريــر

رئيس التحرير: د. عطية رمضان الكيلاني
مدير التحرير: د. علي أحمد ميلاد
سكرتير المجلة: م. عبد السلام صالح بالحاج

المجلة ترحب بما يرد عليها من أبحاث وعلى استعداد لنشرها بعد التحكيم .
المجلة تحترم كل الاحترام آراء المحكمين وتعمل بمقتضاها .
كافة الآراء والأفكار المنشورة تعبر عن آراء أصحابها ولا تتحمل المجلة تبعاتها .
يتحمل الباحث مسؤولية الأمانة العلمية وهو المسؤول عما ينشر له .
البحوث المقدمة للنشر لا ترد لأصحابها نشرت أو لم تنشر .
حقوق الطبع محفوظة للكلية .

بحوث العدد

- "تحفة الأنام بتوريث ذوي الأرحام" دراسة وتحقيقاً
- الاستفهام ودلالاته في شعر خليفة التليسي
- قراءة في التراث النقدي عند العرب حتى أواخر القرن الرابع الهجري
- الكناية في النظم القرآني(نماذج مختارة)
- حذف حرف النداء "يا" من اسم الإشارة واسم الجنس واختلاف النحاة في ذلك
- (أيّ) الموصولة بين البناء والإعراب
- موج النحـــاة في الوصـــف بـــــ(إلا)
- تقنية المعلومات ودورها في تنمية الموارد البشرية بجامعة المرقب
- دراسة الحل لمنظومة المعادلات التفاضلية الخطية باستخدام تحويل الزاكي
- أساليب مواجهة ضغوط الحياة اليومية لدى طالبات كلية التربية
- برنامج علاج معرفي سلوكي مقترح لخفض مستوى القلق لدى عينة من المراهقات
- هجرة الكفاءات الليبية إلى الخارج
- صيد الأسماك في منطقة الخمس وآثاره الاقتصادية
- Determination of (ascorbic acid) in Vitamin C Tablets by Redox Titration
- Physical and Chemical Properties Analysis of Flax Seed Oil (FSO) for Industrial Applications
- Catalytic Cracking of Heavy Gas Oil (HGO) Fraction over H-Beta, H-ZSM5 and Mordinite Catalysts
- Monitoring the concentration (Contamination)of Mercury and cadmium in Canned Tuna Fish in Khoms, Libyan Market
- EFFECT CURCUMIN PLANT ON LIVER OF RATS TREATED WITH TRICHLOROETHYLENE
- Comparative study of AODV, DSR, GRP, TORA AND OLSR routing techniques in open space long distance simulation using Opnet

- Solution of some problems of linear plane elasticity in doubly-connected regions by the method of boundary integrals
- Common Fixed-Point Theorems for Occasionally Weakly Compatible Mappings in Fuzzy 2-Metric Space
- THE STARLIKENESS AND CONVEXITY OF P-VALENT FUNCTIONS INVOLVING CERTAIN FRACTIONAL DERIVATIVE OPERATOR
- Utilizing Project-Based Approach in Teaching English through Information Technology and Network Support
- An Acoustic Study of Voice Onset Time in Libyan Arabic

د. بشير أحمد الميِّري
قسم اللُّغة العربيَّة – كلِّيَّة التَّربية – جامعة المرقب

تقديم:

مع اقتراب القرن الثَّاني الهجري من نهايته دخل النَّقد الأَدبي عند العرب مرحلة جديدة تمثَّلت في بدءِ البحث الجادِّ، وفتح باب التَّدوين أَمام العلماءِ على مصراعيه، وكان لذلك دوافع أَهمُّها:

1- رغبة العلماءِ في تدوين الأَدب الجاهلي بعد جمعه؛ ليحفظوه من الضِّياع، وليغدو مادَّةً علميَّة لُغويَّة يتدارسها النَّاس.

2- ربْطُ العلماءِ بين هذا الأَدب والمادَّة اللُّغويَّة لتقعيد اللُّغة.

3- ظهور حركة مناوئَة للعرب (الشُّعوبيَّة) كانت تزدري كلَّ ما هو عربي، وتحاول الطَّعن في تراث العرب وماضيهم المجيد، فانبرى العلماءُ الغيورون على اللُّغة للتَّصدِّي لتلك الهجمة الشَّرسة الَّتي شنَّها الشُّعوبيُّون على تراثهم وثقافتهم.

4- إِحساس العلماءِ بالحاجة الملحَّة إِلى تدوين هذا الأَدب للاستعانة به في كثير من العلوم المتَّصلة بالدِّين كالتَّفسير والسِّيرة وغيرهما.

5 – بعض المؤلَّفات كانت لغرض تعليمي طُلب منهم جمعها للتَّأْديب[1].

ما تناوله النُّقَّاد بالبحث، ومؤلفاتهم بالخصوص

من السَّهــل جداً الإِلمام بالأُمور الَّتي شغَلت بال النُّقاد قديما، وحظيت بعنايتهم، ومهما يكن من أَمر الخلافات بينهم في تلك الأُمور؛ فإِنَّها غالبا ما كانت تُراوح مكانها، فبعضهم انتصر للقديم، وآخر للمُحدَث، وبعضهم انتصر للَّفظ وبعضهم للمعنى، وبعضهم رأَى أَنَّ الشَّاعر المُجيد هو الشَّاعر المطبوع، بينما رأَى آخرون أَن التكلُّف والصَّنعة من متطلَّبات الصِّياغة، وتناولوا السِّرقات انتصارا وذماً، وغالباً ما كان المُحدَثون منهم يُكرِّرون منطق القدماءِ في الحديث عن قضايا اللَّفظ والمعنى، والطَّبع والتكلُّف، وغير ذلك من القضايا دون الوصول إِلى نتائج جديدة، ويكفي أَن نشير إِلى قضيَّة السَّرقات وما أَثارته من جدليَّة حول كلٍّ من أَبي تمَّام والبُحتري والمتنبِّي، فقد انشغل بها نقَّاد كبار دون أَن يصلوا إِلى نتائج مُقنعة، أَو نظريَّة فنِّيَّة إِبداعيَّة في هذا المجال، ولنا أَن نقول مثل هذا في باقي الثُّنائيَّات الَّتي عالجها النَّقد العربي قديما.

1 ــ ينظر: الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديما وحديثا، د. عفيف عبد الرحمن، ص15، 16.

وأَبرز ما يُبِينُ لنا عن اهتمامات النُّقاد في هذا الشَّأْن ما تزخر به مكتبة النَّقد العربي من نفائس سنتاولها في هذا البحث للوقوف على ما تحتويه من أفكار وآراء قيمة لأولئك النقاد كانت ولا زالت محطَّ اهتمام الباحثين، والنبع الذي يستقي منه النقاد، معتمدين في بحثها على مجموعة من المصادر ذات العلاقة، من خلال استقرائها، واستنباط وتحليل النصوص المنتقاة منها.

سيبنى هذا البحث على مبحثين وخاتمة مع ثبت بالمصادر.

سيتناول المبحث الأول بالدرس مؤلفات النقاد في نهايات القرن الثاني ومطلع القرن الثالث، وما اشتملت عليه من آراء وأفكار بخصوص القضايا النقدية التي تشغل بال النقاد في ذلك الوقت.

وفي المبحث الثاني دراسة لبعض المصنفات التي ظهرت في الفترة من بداية النصف الأخير من القرن الثالث وحتى الربع الأخير من القرن الرابع، وما حوته من آراء النقاد حول القضايا النقدية التي درسها أسلافهم، وما أضافوه من أفكار وقضايا جديدة.

وفي الخاتمة: ذكر لأهم النتائج التي توصَّل إليها البحث.

سأكتفي في الهامش بذكر المصدر ومؤلفه تاركا بقية المعلومات المتعلقة به لثبت المصادر.

المبحث الأول: الفكر النقدي في نهايات القرن الثاني ومطلع القرن الثالث.

سطع نور الإسلام في شبه جزيرة العرب، فانبهرت به الأبصار، و اشرأبت إليه النفوس، وعشقته القلوب، فانقشعت به عن العرب ظلمة الجهل والتخلف، وانفتحت أمامهم الأبواب واسعة ليشقوا طريقهم نحو عصر جديد قوامه الأخذ بأسباب العلم والمعرفة للوصول إلى مصافِّ الأمم من حولهم.

وما أن أشرف القرن الثاني الهجري على نهايته حتى نضجت العقول، وبدأ العلماء بالبحث والتدوين، وكان للنقد الأدبي نصيب من ذلك، حيث بدأت الآفاق تتسع، والمؤلفا تتوالى، وكان في طليعتها:

- **صحيفة بشر بن المعتمر**

ذكر الجاحظ أَنَّ بشر بن المعتمر مرَّ بإبراهيم بن جبلة بن مَخْرَمة السَّكونيّ الخطيب، وهو يعلِّم الفتيان الخَطابة، فوقف بِشرٌ فظنَّ إبراهيمُ أنّه إنَّما وقَفَ ليستفيد، أَو ليكونَ رجلاً من النَّظّارة، فقال بِشر مخاطبا الفتيان: اضربُوا عمّا قالَ صَفْحاً، واطوُوا عنه كَشْحاً، ثمَّ دَفَع إِليهم صحيفةً من تحبيره وتنميقه اشتملت على أُسس الكلام وخصائصه[2].

2 ـــ ينظر: البيان والتبيين، الجاحظ:98/1.

وقد أُعجِب كثير من النُّقَّاد بهذه الصَّحيفة، وأَكَّد ابن رشيق على أَنَّها ممَّا لا يَسَعُ تركه؛ لأَنَّ بشر بن المعتمر، ذكر فيها البلاغة، ودلَّ على مضانِّ الكلام والفصاحة[3]، وضمَّنها الكثير من النِّقاط الَّتي أَصبحت فيما بعد من أَساسيَّات النَّقد الأَدبي، من أَهمِّها:

- **اختيار الوقت المناسب لقول الشِّعر**

إِذ أَنَّ الشِّعر لا يتأَتَّى في كلِّ الأَوقات، قال بشر: ((خُذْ من نفسك ساعةَ نشاطك وفراغِ بالك وإِجابتِها إِيَّاك، فإِنَّ قليل تلك السَّاعة أَكرَمُ جوهراً، وأَشرَفُ حسَباً، وأَحسن في الأَسماع، وأَحلَى في الصُّدور، وأَسلَمُ من فاحش الخَطَاء، وأَجْلَبُ لكلِّ عين وغُرَّة، من لفظٍ شريف ومعنىً بديع، واعلَمْ أَنَّ ذلك أَجدى عليك ممَّا يُعطيك يومُك الأَطـــــول، بالكـــدِّ والمطاولـــة والمجاهـــــدة، وبالتكلُّف والمعاودة))[4].

- **الابتعـــاد عن كلِّ ما يُسْلِم الشَّاعر إِلى التَّعقيد**

لأَنَّ التَّعقيد يُفسد المعنى، ويَذهب بحلاوة الشِّعر، قال بشر: ((وإِياك والتوعُّرَ، فإِنَّ التَّوعُّر يُسلمِكُ إِلى التَّعقيد، والتَّعقيد هو الَّذي يستهلكُ معانَيكَ، ويَشين أَلفاظك))[5].

- **طبقات فحول الشُّعراء، محمَّد بن سلام الجُمحي**

يبدو أَنَّ ابن سلاَّم استلهم كلَّ ما تحدَّث فيه اللُّغويُّون السَّابقون عليه، أَو المعاصرون له كحمَّاد الرَّاوية، وخلف الأَحمر، وغيرهما في الشِّعر وما يتعلَّق به، وفي الأَدب بصفة عامَّة، فاستوعب ذلك الحديث، وأَضاف إِليه من عنده إِضافات أَثْرتـــه، وقدَّم ذلك كلَّـــه ثمرة ناضجة على مائدة النَّقد الأَدبي في كتابه الموسوم بـــ (طبقات فحول الشُّعراء)، ذلك الكتاب القيِّم الذي حوى الكثير من النَّظرات النَّقديَّة، والإِشارات الَّتي أَخذ بها النُّقَّاد من بعده، ولا يزالون يأْخذون.

من بين تلك النظرات

البحث في الشِّعر المنحول: لقدَ أَقلقت هذه القضيَّة ابن سلاَّم كثيرا حتَّى إِنَّه ليُكثر من الحديث عنها في كتابه، وقد بدأَ حديثه بتوجيه نقد شديد لمحمَّد بن إِسحاق متَّهما إِيَّاه بإِفساد الشِّعر، وتهجينه وعدم التثبُّت في نسبته، وبأَنَّه تزيَّد كثيرا حتَّى((كتب في السِّيَـــرِ أَشعار الرِّجال الَّذين لم يقولـــوا شِعراً قطُّ، وأَشعار النِّساءِ فضلا عن الرِّجال، ثمَّ جاوز ذلك إِلى عاد وثمودَ فكتب لهم أَشعارا كثيرةً وليس بشعر، إِنَّما هو كلام مؤلَّف معقود بقواف، أَفلا يرجـــع إِلى نفسه فيقول من حمل هذا الشِّعر، ومن أَدَّاه منذ آلاف من السِّنين))[6]، كما ردَّ كثيرا من الشِّعر الَّذي

3 ـــ ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني:212/1.
4 ـــ البيان والتبيين، الجاحظ:98/1.
5 ـــ المصدر السابق:99/1.
6 ـ طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي:11/1، 12.

أورده ابن إسحاق، ونسبه إلى شعراءَ جاهليِّين من أُمم قد بادت وانتهت، ولم يعد لها ذكر ولا وجود، واعتمد في حكمه ببطلانه على أَدلَّة نقليَّة، وأُخرى علميَّة.

الأَدلَّة النَّقليَّة:

ما ورد في القرآن الكريم من آيات تتحدَّث عن تلك القبائل الَّتي وُجدت قديما، ولكنَّها خالفت أَوامر الله فنزل بها عقابه، وانتهى وجودها على وجه الأَرض[7]، قال الله تعالى:﴿ **فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِين** ﴾ [سورة الأنعام، الآية:46] أي لا بقيَّة لهم، وقال عن قبيلة عاد: ﴿ **وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى (50) وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى**﴾ [سورة النجم، الآيتان:49، 50]، وقال فيهم أيضا: ﴿**فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَة** ﴾ [سورة الحاقة، الآية:7]، وقال: ﴿ **أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ**﴾ [سورة إبراهيم، الآيتان:11، 12]، فهذه الآيات القرآنية تؤكِّد على أَنَّ القبائل القديمة الَّتي نَسب ابن إسحاق إليها بعض الشِّعر قد انقرضت ولم يعُد لها أَدنى وجود، وبالتَّالي فليس هناك أَيّ صلة بينها وبين العرب الَّذين عُرفوا لاحقا بقرض الشِّعر.

الأَدلَّة العلميَّة:

تتلخَّص أَدلَّة ابن سلام العلميَّة على بطلان ذلك الشِّعر في النِّقاط التَّالية:

1- أَنَّ أوَّل من نطق باللُّغة العربيَّة هو نبيُّ الله إسماعيل عليه السلام، وإذاً فإنَّ اللُّغة الَّتي نعرفها نحن، وجاءَ بها الشِّعر ليست موجودةً عند عاد، فكيف يُعقل أَن يُقال شعرٌ بلغة غير موجودة.

2- اختلاف لهجة أَهل اليمن عن لهجة قريش الَّتي جاءَ بها كلُّ الشِّعر المنسوب إلى الجاهليِّين، وبما أَنَّ عادا من اليمن فكيف تأَتَّى لهم أَن يقولوا شعرا بلسان غير لسانهم، قال أَبو عمرو بن العلاءِ ((ما لسان حمير وأَقاصي اليمن بلساننا، ولا عربيَّتُهم بعربيِّتنا))[8].

3- مخالفة ما نقله ابن إسحاق لما أَثبته العلماءُ بالشِّعر والنَّقد من أَنَّ العرب لم يعرفوا القصائد الطِّوال إلا بآخرة من العصر الجاهلي، وأَنَّه لم يكن لأَوائلهم ((من الشِّعر إلا الأَبيات يقولها الرَّجل في حاجته، وإنَّما قُصِّدَتِ القصائد وطُوِّل الشِّعرُ على عهد عبد المطَّلب وهاشم بن عبد مناف، وذلك يدلُّ على إسقاط شعر عاد وثمود وحمير وتبَّع))[9].

7 ـ ينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د. طه أحمد إبراهيم ، ص78: 80.
8 ـ المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي:137/1.
9 ـ طبقات فحول الشعراء، ابن سلام:26/1.

السَّبب في وضع الشِّعر: أَرجع ابن سلاَّم الباعث على وضع الشِّعر إِلى سببين: السَّبب الأَوَّل: العصبيَّة الَّتي سادت بعض القبائل في صدر الإِسلام، فبعد أَن انشغل المسلمون بالجهاد فترة من الزَّمن، عادوا وراجعوا أَشعارهم، وذكروا أَيَّامهم ومآثرهم، فاكتشفت بعض القبائل أَنَّ الكثير من شِعرهم وتاريخ أَيَّامهم ووقائعهم قد ضاع، واكتشفت قبائل أُخرى أَنَّ حضَّ أَسلافهم من الشِّعر قليل، فانكبَّ الفريقان على قرض الشِّعر، ونسبته إلى قبائلهم الغابرة، رغبة منهم في اللَّحاق بالقبائل الأُخرى.

السَّبب الثَّاني: تعمُّد بعضِ الرُّواة نظم الشِّعر، ونسبته إِلى شعراءَ جاهليِّين، ممَّا أَدَّى إِلى زيادة كبيرة فيما قيل من الأَشعار[10]، وقد أَدَّى ذلك إلى اختلاط الصَّحيح من الشِّعر بالمنحول منه، وأَصبح من العسير على النَّاقد التَّمييز بين النَّقيضيْن.

مدى تأْثير البيئَة في الشِّعر: الشَّاعر ابن بيئَته، ومرآة مجتمعه، فهو يتكلَّم بلسانه، ويعكس عاداته وتقاليده، ويتأَثَّر في كلِّ شيْءٍ بما هو سائد فيه، فأَحوال البيئَة، وما يجدُّ على ذلك المجتمع من الأَحداث والخطوب، هي الَّتي تؤثِّر في لغة الشَّاعر، وتفرض عليه اختيار موضوع قصيدته، وهي وحدها الَّتي تجعل شِعره يكثر أَو يقلُّ، ويقوَى أَو يضعف[11]، فهناك ببعض المناطق كالطَّائف مثلا شِعر، ولكنَّه قليل؛ لأَنَّ الشِّعر يكثر ((بالحروب الَّتي تكون بين الأَحياءِ، نحو حرب الأَوس والخزرج، أَو قوم يغيرون ويُغار عليهم، والَّذي قلَّل شِعر قريش أَنَّه لم يكن بينهم ثائرة، ولم يحاربوا، وذلك الَّذي قلَّل شعر عُمان))[12]، ومن خلال تلك الأَحداث والخطوب يلين لسان الشَّاعر أَو يغلظ، ويكون شِعره رقيقا أَو خشِنا، فقد كان عديُّ بن زيد ((يسكن الحيرة ويُراكن الرِّيف، فلان لسانه، وسهل منطقه))[13].

ضرورة وجود النَّاقد المتخصِّص: الَّذي يتمتَّع بمواصفات النَّاقد الأَدبي، وخصائصه الفنِّيَّة، ومن أَبرز تلك المواصفات والخصائص: سعة الاطِّلاع، والمعرفة الدَّقيقة بالشِّعر والشُّعراءِ، والخِبرة المستمدَّة من معاشرة أَهل الأَدب[14]، فالشِّعر صناعة كسائر العلوم والصِّناعات، وله ثقافة يعرفها أَهله والمهتمُّون به، ((منها ما تثقفه العين، ومنها ما تثقفه الأُذن، ومنها ما تثقفه اليد، ومنها ما يثقفه اللِّسان))[15]، وهو فنٌّ من الفنون الجميلة له مقوِّماته الخاصَّة به، ولا يمكن أَن يكون نقده مُثمرا إِلا إِذا وُجد له نقَّادٌ متخصِّصون يُحترم رأْيُهم، ((حُكي أَنَّ رجلاً قال

10 ـ ينظر: طبقات فحول الشعراء، ابن سلام:46/1.
11 ـ ينظر: القاضي الجرجاني والنقد الأدبي، د. عبده عبد العزيز قلقيلة، ص138.
12 ـ طبقات فحول الشعراء، ابن سلام:259/1.
13 ـ المصدر السابق:140/1.
14 ـ ينظر: نشوء النقد الأدبي وتطوره، د. رامز الحوراني:98/1.
15 ـ طبقات فحول الشعراء، ابن سلام:5/1.

لخلف الأَحمر: ما أُبالي إِذا سمعتُ شعــراً استحسنتُه ما قلتَ أَنت وأَصحابُك فيه!! فقال له: إِذا أَخذت درهماً تستحسنه وقال لك الصَّيرفي إِنَّه رديءٌ هل ينفعك استحسانُك إِيَّاه؟))[16].

البيان والتَّبيين، وكتاب الحيوان، الجاحظ

الجاحظ من العلماءِ الأَوائل الذين عُنوا بالبلاغة العربيَّة، واهتمُّوا بوضع الأُسس الَّتي يجب أَن ترتكز عليها، وبذلك يكون قد قدَّم للنَّقد الأَدبي مادَّة جديدة خِصبةً، كان لها دور كبير في معالجة النُّصوص الأَدبيَّة، ونقْدِها نقدا علميًّا مبنيًّا على أُسس وقواعدَ بيِّنةٍ، وبعيداً عن الأَحكام الذَّوقيَّة الَّتي عرفها النَّقد الأَدبي في مرحلة طفولته.

وعلى الرَّغم من عدم تخصيص الجاحظ للنَّقد الأَدبي بكتاب مستقلٍّ، أَو رسالة مخصوصة، فإِنَّ مؤلَّفاته قد احتوت على مجموعة من القضايا والإِشارات النَّقديَّة الَّتي مهَّدت السَّبيل لمن عاصره أَو جاءَ بعده من علماءِ النَّقد والبلاغة، وأَصبحت من الأُسس التَّي يُبنى عليها النَّقد الأَدبي عند العرب في مختلف العصور.

من قضايا الجاحظ وإِشاراته في كتابيه

القِدم والحداثة: وهي من أَبرز القضايا النَّقديَّة الَّتي اهتمَّ بها النُّقاد، وتشعَّبت فيها الآراءُ بين منقطع للقديم، متمسِّكٍ به، لا يرى الأَفضليَّة إِلا له، وبين مناصر للمُحدَث، متشبِّث بـــه، يلتمس جميع السُّبلِ للدِّفاع عنه، وبين من لا يعترف بقضيَّة القديم والمُحدث البتَّة، بل يحكم على الشَّاعر من خلال شِعره.

وجد الجاحظ أَنَّ جُلَّ الآراءِ السَّائدة في وقته تتعصَّب للقديم، ولا تعترف بالفضل للمُحدَث مهما أَجاد وأَبدع، فأَيقن أَنَّ ذلك مُجافٍ للعدل، بعيد عن الصَّواب، وأَراد أَن يُصحِّح الأَمر فأَوصى النَّاقد بأَن يلتزم الحياد، ويبتعد عن المحاباة والميل للهوى، وأَن تكون أَحكامه صادقة صادرة عن يقين، ومعلَّلة، ومشفوعة بما يُسندها ويقوِّيها، ((فإِذا كان الحُبُّ يُعمِي عن المساوئ فالبُغْض أَيضاً يُعمِي عن المحاسن، وليس يَعْرِف حقائقَ مقاديرِ المعاني؛ ومحصولَ حدود لطائف الأُمور، إِلاّ عالِمٌ حكيم، ومعتدلُ الأَخلاط عَليم، وإِلا القويُّ المُنَّة، الوَثيق العُقْدة، والَّذي لا يمَيــل مع ما يستميل الجمهورَ الأَعظمَ، والسَّوادَ الأَكبر))[17]، وتمشِّيا مع هذا المبدأ الَّذي أَقرَّه، وأَوصى به، خالف الجاحظ آراءَ المتعصِّبين للقديم، ونعت من يأْخذون بها بقِصَر النَّظر، واعتمد مبدأَ التَّسوية، فهو لا يقدِّم الموروث على المستَجدِّ، ولا يفضِّل القديم على الجديد، وبذلك يكون قد مهَّد الطَّريق لأَهل التَّسوية بين القديم والمُحدَث، فالقضيَّة الَّتي لا يحتشِمُ منها، ولا يهابُ الخصومة فيها كما يقول: هي ((أَنَّ عامَّة العرب والأعراب والبدوِ والحضر من سائر العرب، أَشعر من عامَّة شعراءِ الأَمصار والقُرَى، من المولَّدة والنَّابتة،

16 – العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق:117/1.
17 – البيان والتبيين، الجاحظ:69/1، 70.

وليس ذلك بواجبٍ لهم في كلِّ ما قالوه، وقد رأَيت أُناساً منهم يبهرِجون أَشعارَ المولَّدين، ويستسقِطون مَن رواها، ولم أَر ذلك قطُّ إلاَّ في راويةٍ للشِّعرِ غيرِ بصيرٍ بجوهر ما يُروى، ولو كان له بصرٌ لعرَف موضعَ الجيِّد ممَّن كان، وفي أَيِّ زمان كان))[18]

اللفظ والمعنى: ربَّما يتبادر إلى الذهن أنَّ الجاحظ يقدِّم اللَّفظ على المعنى، فالمعاني عنده ((مطروحةٌ في الطَّريق يعرفها العجميُّ والعربيُّ، والبدويُّ والقرَويُّ، والمدنيّ، وإِنَّما الشَّأْنُ في إِقامةِ الوزن، وتخيُّر اللَّفظ، وسهولــة المخرج، وكثــرة المــاءِ، وفي صحَّة الطَّبع وجَودَة السَّبك، فإِنَّما الشِّعر صناعةٌ، وضَرْب من النَّسج، وجنسٌ من التَّصوير))[19]، لكنَّ قوله هذا لا يعني البتَّة أَنَّه يهمل المعنى، أَو يقلِّل من شأْنه في جودة الكلام، أَو أَنَّه يفضِّل اللَّفظ عليه، فهو وإن كان من أنصار اللفظ فإِنَّه يجعل العلاقة بينه وبين المعنى علاقة تلازم، فالكلام لا يستقيم، ولا يحقِّق الغاية المرجوَّة منه إلا إِذ احتوى على معانٍ شريفة، مصاغة بأَلفاظ بليغة؛ لأَنَّ الأَلفاظ أَوعية للمعاني ((وأَحسنُ الكــلام ما كان ... معنــاه في ظاهر لفظِه... فإِذا كان المعنى شريفاً واللَّفظُ بليغاً، وكان صحيح الطَّبع بعيداً من الاستكراه، ومنزَّهاً عن الاختلالِ مصوناً عن التكلُّف، صنَعَ في القُلوب صنيعَ الغَيث في التُّربة الكريمة))[20].

المبحث الثاني: الفكر النقدي في القرنين: الثالث والرابع.

أحدثت المصنفات الأولى أثرا كبيرا في نفوس العرب، فزاد اهتمامهم بالبحث والتدوين وبخاصة بعد أن اطلعوا على ثقافات الأمم المجاورة بفضل عملية الترجمة من لغات تلك الأمم إلى اللغة العربية، وما أن أطل العقد الرابع من القرن الثالث الهجري حتى شهدت حركة النقد نهضة عارمة، فاشتدت المساجلات والخصومات بين النقاد، وبدأت المصنفات تتوالى زاخرة بالأفكار، من بين تلك المصنفات:

الشِّعر والشُّعراءُ، ابن قتيبة

حفلت مقدِّمة كتاب الشِّعر والشُّعراءِ بالكثير من القضايا النَّقديَّة المهمَّة الَّتي اشترك ابن قتيبة مع نقَّادٍ آخرين في وضع أُسسها، وإِبراز معالمها لتشكِّل في مجموعها أُصول نظريَّة نقد الشِّعر عند العرب.

من تلك القضايا:

القــدم والحداثة: وهي القضيَّة الَّتي شغلت بال النُّقَّاد قبله، وفي عصره وبعده، تلك القضيَّة القديمة الجديدة الَّتي لا تعرف الاستقرار، ولا تثبت على حال، فهـــي تشتعل ثمَّ تخبو، ثمَّ

18 – كتاب الحيوان، الجاحظ،:67/3.
19 – المصدر السابق:67/3.
20 – البيان والتبيين، الجاحظ:65/1.

تشتعـــــــل من جديد بحيث تستحــوذ على الحركة النَّقديَّة، بما فيها من تشعُّبات، وما تحدثه من تجاذبات.

كان ابن قتيبة في طليعة نقَّاد القرن الثَّالث الهجري الَّذين انتصروا للمُحدَثين، لقد وجد أَنَّ التعصُّب للقديم بقيَ على ما هو عليه حتَّى بعد أَن جُمع التُّراث، وحُفظت أُصول اللُّغة، وإذا كان رواة الشِّعر، وعلماءُ اللُّغة في القرنين الأَوَّل والثَّاني معذورين في تمسُّكهم بالقديم؛ لأَنَّ دافعَهم من وراءِ ذلك حمايةُ اللُّغة، وسلامُتها من اللَّحن، فإنَّ من جاءَ بعدهم من العلماءِ غير معذورين في ذلك، بل إنَّ تعصبُهم للقديـــــم أَصبح من قبيل التَّعصُّب الأَعمى الَّذي لا مبرِّر له، ولا طائل من ورائه[21]، وبذلك يكون ابن قتيبة موافقا للجاحظ، بل إنَّه أَعطى لهذه القضيَّة بُعداً جديدا بحيث جاءَ انتصاره للشُّعراءِ المُحدَثين، وموقفه المنصف لشِعرهم مصحوبا بذكر العلَّة والسَّبب.

فهو أَوَّلا ينأَى بنفسه عن التَّقليد الَّذي سار عليه بعض النُّقَّاد، من حيث أَنَّهم كانوا يأْخذون الأَحكام النَّقديَّة الَّتي صدرت عن بعض السَّلف على عِلاَّتها، ولا يحاولــون اكتشاف مدى صحَّـــة تلك الأَحكام أَو زيفها، ولم يكن يسلك في ذلك ((سبيل من قلَّد، أَو استحسن باستحسان غيره))[22].

إنَّ المبدأَ السَّليـــم الَّذي سار عليه ابن قتيبـــة في نقـــده، والَّذي يجب أَن يقتدي به كلُّ ناقد في إِصدار حكمه، يكمن في النَّظر إِلى الشِّعر وليس إِلى الشَّاعر، ومن الخطأ أَن ينحاز النَّاقد إِلى القديم لمجرَّد أَنَّه قديم، قال: ((ولا نظرت إِلى المتقدِّم منهم بعين الجلالـــة لتقدُّمـــه، وإِلى المتأَخِّر منهم بعين الاحتقار لتأَخُّره. بل نظرت بعين العـــدل على الفريقيـــن، وأَعطيت كلاًّ حظَّه، ووفَّرتُ عليه حقَّه، فإِنِّي رأَيت من علمائنـــا من يستجيـــد الشِّعر السَّخيف لتقدُّم قائله، ويضعه في متخيَّره، ويرذل الشِّعر الرَّصين، ولا عيب له عنده إِلا أَنَّه قيل في زمانه، أَو أَنَّه رأَى قائلَه))[23] ، فالشِّعر وسائر العلوم مادَّة مشتركة بين الجميع، وليست مقصورة على زمن دون آخر، ولا فئةٍ معدودة من النَّاس دون غيرها، بل جعله الله ((مشتركاً مقسوماً بين عباده في كلِّ دهر، وجعل كلَّ قديـــم حديثاً في عصـــره، وكلَّ شرفٍ خارجيَّةً في أَوَّله، فقد كان جريـــرٌ والفرزدق والأَخطـــل وأَمثالهم يُعدَّوْن مُحدَثين، وكان أَبو عمرو بن العلاءِ يقول: لقد كثر هذا المُحدَث وحسُن حتَّى لقد هممت بروايته، ثمَّ صار هؤُلاءِ قدماءَ عندنا ببُعد العهد منهم، وكذلك يكون مَنْ بعدهم لمن بعدنا، كالخريمي، والعتابي، والحسن بن هانئ، وأَشباههم))[24]، فهو يرفض المقياس الزَّمني للحكم على الشِّعر، ويضع بدلا منه مقياسا آخر،

21 ـ ينظر: دراسات في النقد العربي، د. عثمان موافى، ص88، 89.
22 ـ الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ص21.
23 ـ المصدر السابق والصفحة.
24 ـ المصدر السابق والصفحة.

يقوم على النَّظر في الأَثر الشِّعري نظرة فنِّيَّة موضوعيَّة، غير مرتبطة باسم الشَّاعر، أَو زمن الشِّعر، أَساسها الجودة الفنيَّة، فالشِّعر الَّذي تتحقَّق فيه الجودة الفنِّيَّة يُقبل، والَّذي لا تتوافر فيه هذه الصِّفة يُرفض[25]، فإذا ما احتوى الشِّعر على عذوبة اللَّفظ، وطرافة المعنى، مع المحافظة على صحَّة الوزن، وحسن الرَّويِّ، وجمال التَّصوير، فقد استحقَّ كلَّ العناية والتَّقدير، ولا حاجة لمعرفة قائله، أو الزَّمن الَّذي قيل فيه[26].

البِنية الفنِّيَّة للقصيدة الشِّعريَّة: كان شعراءُ العصر الجاهلي قد ساروا في بناءِ قصائدهم وفق نظام محدَّد، حيث كانوا يبدؤون تلك القصائد ــ وبخاصَّة منها قصيدة المدح ـــ بالوقوف على الأَطلال وبكائها، والغزل التَّقليدي، ثمَّ وصف الرِّحلة، ومن ثَمَّ التَّخلُّص إِلى الغرض الرَّئيسي للقصيدة.

وقد علّل ابن قتيبة تواضع الشُّعراءِ على ذلك فأَرجعه إِلى عوامل نفسيَّة وبيئيَّة، تتمثَّل في سعي الشَّاعر إِلى جذب انتباه السَّامعين نحوه، وإِثارة مشاعرهم بالضَّرب على وتر حسَّاس يمسُّ شِغاف قلوبهم؛ لأَنَّ الحنين إِلى الماضي، وحـــبَّ الجنس الآخر شيْءٌ مركوز في طباع البشر، ولا يُستثنى منه أَحد[27]، ولذلك كان الشَّاعر الجاهلي متمسِّكا بهذا النَّمط والأُسلوب، فكان يتَّبع في قصيدته الخطوات التالية:

الوقوف بديار الحبيبة، والبكاء عندها، ومخاطبة ربعها؛ ليجعل ذلك سببا في ذكر أَهلها الظَّاعنين عنها.

استيقاف الرَّفيق، ومناجاته، ومناشدته مشاركته في البكاء والشكوى.

إظهار ما يقاسيه من شدَّة الوَجْـد وأَلم الفراق وفرط الصَّبابة، والشَّوق؛ ليستدعي به إِصغـاءَ الأَسماع إِليه، وليميل نحـــوه القلوب، ويصرف إِليه الوجـــوه؛ لأَنَّ التَّشبيب قريبٌ من النُّفوس، لائطٌ بالقلوب.

وصف الرِّحلـــة، والحديث عمَّا قاســـاه فيها من النَّصَب والسَّهر، وسرى اللَّيل وحلَّ الهجير، وإِنضاءَ الرَّاحلة والبعير؛ ليوجب على الممدوح حقَّ الرَّجاء، ويبعثه على المكافأة، ويهزه على السَّماح[28].

وقد لاحظ ابن قتيبة أَنَّ بعض الشُّعراءِ المُحدَثين قد خرج عن هذا التَّقليد المتَّبع في بناءِ القصيدة العربيَّة، وهوــ على الرَّغم من انتصاره للشَّاعر المُحدَث ــ يحرص على ذلك التَّقليد ويؤَكِّد عليه، ويرى أَنَّه يسري على جميع الشُّعراءِ في أَيِّ زمان وفي أيِّ مكان وُجدوا، وهو بمثابة قانون معتمد يجب عليهم الالتزام به، ولا يجوز لمتأَخِّرٍ منهم أَن يخرج عليه فيقف على

25 ــ ينظر: دراسات في النقد العربي، د، عثمان موافى، ص90.
26 ــ ينظر: الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ص29.
27 ــ ينظر: دراسات في النقد العربي، د، عثمان موافى، ص92.
28 ــ ينظر: الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ص30، 31.

منزلٍ عامر، أو يبكى عنـد مشيَّد البُنيان، أو يرحل على حـمارٍ أو بغـلٍ ويصفهـما، أو يَرِد على المياه العِذاب الجواري، أو يقطع إلى الممدوح منابت النَّرجس والآس والورد [29].

ولكنَّنا لا نسلِّم بهذا الرَّأْي لما فيه من التَّضييق على الشَّاعر المُحدَث، وإلزامه بما ليس في استطاعته، فالباعث على بناءِ القصيدة على هذا النَّحو يرجع ــ كما ذكر ابن قتيبة نفسه ــ إلى عوامل بيئيَّة ونفسيَّة، وطبقا لذلك فإنَّ لكلِّ شاعر الحقَّ في أَن يبدأَ قصيدته بما توحي به العوامل الخاصَّة به، ووِفقا لما يشاهده من حوله.

أَقسام الشِّعر: نظر ابن قتيبة إلى الشِّعر نظرة ثاقبة حاول من خلالها تقييم الشِّعر تقييما فنِّيًّا فقسَّمه من حيث ثنائيَّة اللَّفظ والمعنى إلى أَربعة أَقسام[30].

– القسم الأوَّل: ما حسُن لفظه وجاد معناه، كقول حميد بن ثور[من الطَّويل]:

أَرَى بَصَرِي قَدْ رَابَنِي بَعْدَ حِدَّةٍ * وَحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَصِحَّ وَتَسْلَمَا[31].**

فهذا البيت ضمن أبيات من أَجود أَنواع الشِّعر؛ لأَنَّها اشتملت على معان شريفة، مصاغة بأَلفاظ عذبة بليغة حازت بها كلَّ الرِّضى والقبول.

– القسم الثَّاني: ما حسُن لفظه وحلا، ولكن لا توجد فائدة في معناه، كقول جرير[من الكامل]:

إِنَّ الَّذِيـــنَ غَـــــدَوْا بُلُبِّكَ غَادَرُوا* وَشَلاً بِعَيْنِكَ مَا يَزَالُ مَعِينَا**
غَيَّضْنَ مِنْ عَبَرَاتِهِنَّ وَقُلْنَ لِي * مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْهَوَى وَلَقِينَا[32].**

– القسم الثَّالث: ما قصُرت أَلفاظه عن معناه، كقول الفرزدق[من الكامل]:

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي الشَّبَابِ كَأَنَّهُ * لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبَيْهِ نَهَارُ[33].**

القسم الرَّابع: ما تأَخَّر معناه وتأَخَّر لفظه، كقول الخليل بن أَحمد العروضي[من المجتث]:

إِنَّ الْخَلِيـــطَ تَصَـــدَّعْ * فَطِـــــــرْ بِدَائِـكَ أَوْقَعْ**
لَوْلاَ جَـــــوَارٍ حِسَـانٌ * حُورُ الْمَدَامِـــعِ أَرْبَعْ**
أُمُّ الْبَنِيـــــــنَ وَأَسْمَـــا * ءٌ وَالرَّبَابُ وَبَـــــوْزَعْ**
لَقُلْتُ لِلرَّاحِـلِ ارْحَلْ * إِذَا بَـــــــــدَا لَـكَ أَوْ دَعْ[34].**

وقد علَّق ابن قتيبة على هذه الأَبيات؛ مبيِّناً قصور الخليل، وعدم تمكُّنه هو وسائر العلماءِ ــ إلا ما نذر ــ من الشَّعر، فقال: ((وهذا الشِّعر بيِّن التكلُّف رديءُ الصَّنعة، وكذلك أَشعار

29 ـ ينظر: المصدر السابق، ص32.
30 ـ ينظر: المصدر السابق ، ص23: 27.
31 ـ الإعجاز والإيجاز، الثعالبي:145/1.
32 ـ الأغاني، الأصفهاني:263/1.
33 ـ المصدر السابق:311/10.
34 ـ الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ص27.

العلماءِ، ليس فيها شيْءٌ جاءَ عن إسماحٍ وسهولة، كشعر الأَصمعي، وشعــر ابن المقفَّع ...ولو لم يكــن في هذا الشِّعــر إلا أُمُّ البنين وبوزع لكفاه))[35]، ويبدو من خلال هذه النُّصوص وغيرها من النُّصوص الأُخرى الَّتي استدلَّ بها ابن قتيبة على تقسيمه الفنِّي للشِّعر أَنَّه يقصد باللَّفظ الصِّياغة التَّعبيريَّة، وما تتضمَّنه من كلمات وصُور وموسيقى، وأَنَّ جودة اللَّفظ تكمن في عذوبته وجزالة التَّعبير، أَمَّا المعنى فيقصَد به مضمون الصِّياغة التَّعبيريَّة، وتكمن جودته عنده في تضمُّنه بعض الحِكم والمعاني الخُلقيَّة النَّبيلة[36].

الطَّبع والتَّكلُّف: يبدو أَنَّ للتكلُّف عند ابن قتيبة مفهومان: شِعر متكلَّف، وشاعر متكلِّف؛ إذ لا يمكن أَن نفهم ممَّا قاله أَنَّه لا يفرِّق بين التكلُّف وبين الجودة الفنِّيَّة الَّتي يسعى كلُّ شاعر إلى أَن يتَّصف بها شِعره، فهو يرى أَنَّ الشِّعر المتكلَّف لا تخفى معرفته على ذوي العلم؛ لأَنَّ العلامات الدَّالَّة عليه واضحة وجليَّة، منها ما يظهر على صاحبه من طول التَّفكُّر، وشدَّة العناء، ورشحِ الجبين، وكثرة الضَّرورات، وحذف ما بالمعاني حاجةٌ إليه، وزيادة ما بالمعاني غنًى عنه، كقول الفرزدق مخاطبا بعض الخلفاءِ وقد ولَّى عمر بن هبيرة العراقَ[من الوافر]:

أَأَطْعَمْتَ الْعِرَاقَ وَرَافِدَيْهِ * فَزَارِيّاً أَحَذَّ يَدِ الْقَمِيصِ**[37].

ومنهــا ما يظهــر على الشِّعــر نفســه كأَن يكون البيت فيه مقروناً بغير جاره، ومضموماً إلى غير لِفقه، قال عمر بن لجأ لبعض الشُّعراءِ: أَنا أَشعر منك، قال: وبم ذلك؟ قال: لأَنِّي أَقول البيت وأَخاه، وأَنت تقول البيت وابن عمِّه[38].

أَمَّا الشَّاعر المتكلِّف فهو((الَّذي قوَّم شِعره بالثِّقاف، ونقَّحه بطول التَّفتيش، وأَعاد فيه النَّظر بعد النَّظر، كزهيرٍ والحطيئَة... وأَشباههما من الشُّعراءِ عبيد الشِّعر، لأَنَّهم نقَّحوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين)) [39].

والشَّاعر المطبوع هو الَّذي يصدُر في شِعره عن عاطفة صادقة، وانفعال صادق مع المناسبة الَّتي تدعوه لقول الشِّعر، وإِن كان المطبوعون من الشُّعراءِ غير متساوين في ذلك؛ لأَنَّ منهم من يجيد في غرض دون آخر، فقد يسهل على أَحدهم المديح، ويعسر عليه الهجاء، وقد يتيسَّر لبعضهم المراثي، ويتعذَّر عليهم الغزل[40].

الباعــث على قرض الشِّعر: الأَسباب أَو العوامل الدَّافعة إلى قرض الشِّعر كثيرة ومتنوِّعة، منها عوامل نفسيَّة داخليَّة ترجع إلى عاطفة الشَّاعر، وأَحاسيسه ومشاعره، ومنها عوامل خارجيَّة ترجع إلى انفعال الشَّاعر بحدث "ما" فيدفعه ذلك الحدث لقرض الشِّعر، وقد بيَّن ابن

35 ـ المصدر السابق والصفحة.
36 ـ ينظر: دراسات في النقد العربي، د. عثمان موافى، ص97.
37 ـ ديوان الفرزدق، ص338، (الأَحذ: مقطوع اليد).
38 ـ ينظر: الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ص40: 42.
39 ـ المصدر السابق، ص33.
40 ـ ينظر: المصدر السابق، ص42: 45.

قتيبة تلك العوامل بقوله: ((وللشِّعر دواعٍ تحثُّ البطيءَ وتبعث المتكلِّف، منها الطَّمع، ومنها الشَّوق، ومنها الشَّراب، ومنها الطَّرب، ومنها الغضب))[41]، انفعالان، وعاطفتان: الغضب والطَّرب، والرَّغبة والرَّهبة، هذه بإيجاز العوامل الباعثة على قرض الشِّعر، ولا ينشأُ الغرض الشِّعري إلا بامتزاج الانفعال والعاطفة معا[42]، وإن كان ذلك غير مجدٍ في كلِّ وقت، فقد تأْتي على الشَّاعر أَيَّام وأَيَّام لا يستطيع فيها نظم بيت، قال الفرزدق: ((أَنا أَشعر تميمٍ عند تميمٍ، وربَّما أَتت علىَّ ساعةٌ ونزع ضرسٍ أَسهل عليَّ من قول بيت))[43].

فللإبداع الفنِّي أَوقات معلومة لا يتعدَّاها، يسهل فيها صعبه، ويسرع فيها سهله، ((منها أَوَّل الليل قبل تغشِّي الكَرى، ومنها صدْر النَّهار قبل الغَداءِ، ومنها يوم شُرب الدَّواءِ، ومنها الخلوة في الحبس والمسير)) [44].

وللشِّعر أيضا أَماكن مخصوصة، تنفتَّح فيها نفس الشَّاعر، وتجود قريحته، فتكون مساعدةً له، وقد سُئل كثيِّر عزَّة: مَاذا تفعل إذا عسُر عليك قرض الشِّعر؟ فأجاب: ((أَطوف في الرِّباع المخلية؛ والرِّياض المعشبة، فيسهُل عليَّ أَرصنه، ويُسرع إِلَيَّ أَحسنه، وقال الأَصمعي: ما استُدعيَ شارد بمثل الماءِ الجاري، والشَّرف العالي))[45].

عيوب الشِّعر العروضيَّة: هناك مجموعة من العيوب الَّتي تعترض عروض الشِّعر فتؤثِّر على سلامة وزنه وقافيته، وقد تحدَّث ابن قتيبة عن بعض هذه العيوب، واستدلَّ على وجودها عند كثير من الشُّعراء[46].

فقد ذكر" الإِقواء": ونقل تعريف أَبي عمرو بن العلاءِ له بأَنَّه: "اختلاف إِعراب القوافي"، وذلك بأَن يخالف الشَّاعر القافية الَّتي بنى عليها قصيدته، كأَن تكون تلك القافيةٌ مخفوضة مثلا، فيأْتي بها الشَّاعر في بيت آخر مرفوعةً، كقول النَّابغة الذبياني[من البسيط]:

قَالَتْ بَنُو عَامِرٍ خَالُوا بَنِي أَسَدٍ * يَا بُؤْسَ لِلْجَهْلِ ضَرَّارًا لأَقْوَامِ[47].**

فالقافية في هذا البيت مكسورة، ثمَّ جاءَ بها مرفوعة في بيت آخر، فقال:

تَبْدُو كَوَاكِبُهُ والشَّمْسُ طَالِعَةٌ * لاَ النُّورُ نُورٌ وَلا الإِظْلاَمُ إِظْلاَمُ[48].**

وذكر الإِسناد، وهو أَن يختلف إِرداف القوافي، كقول عمرو بن كلثوم[من الوافر]: "أَلاَ هُبِّي بِصَحْنِكِ فَاصْبَحِينَا"[49]

41 – المصدر السابق، ص34.
42 – ينظر: دراسات في النقد العربي، د. عثمان موافى، ص101، 102.
43 – الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ص35.
44 – المصدر السابق والصفحة.
45 – العمدة، ابن رشيق:67/1.
46 – ينظر: الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ص48: 52.
47 – ديوان النابغة الذبياني، ص82 .
48 – المصدر السابق، ص83.
49 – الأغاني، الأصفهاني:52/11.

فالحاءُ في هذا البيت مكسورة.

وقال في بيت آخر: " تُصَفِّقُهَا الرِّيَاحُ إِذَا جَرَيْنَا"

فجاءَ بالراءِ مفتوحةٌ، وهي بمنزلة الحاءِ، كما ذكر الإيطاء، والإجازة، وبيَّن حدَّهما، ونظرة النُّقَّاد لهما، ومثَّل لهما[50].

الكامل في اللُّغة والأَدب، المبرِّد

اهتمَّ المبرِّد في كتابه بتوضيح الطَّريق السَّليم الَّذي يجب على النَّاقد أَن يتَّبعه في معالجة النَّصِّ الأَدبي، فأكَّد على ضرورة أَن يلتزم النَّاقد بما عُرف بالنَّقد الجُملي، أَي نقد النَّصِّ كلِّه باعتبار أَنَّه كلٌّ متكامل، وألا يقتصر في نقده على معالجة جزْءٍ أَو أَجزاءَ من النَّصِّ؛ لأَنَّ في الاقتصار على نقد جزْءٍ من النَّصِّ ظُلْمٌ للأَدب، وإِجحاف بالأَديب، ذلك أَنَّ النَّقد لا ينبغي أَن يقتصر على السَّقطات الَّتي يقع فيها الشَّاعر المُكثر كما يقع سائر النَّاس ممَّن يشتغلون بالصِّناعة الأَدبيَّة أَو بغيرها من سائر الصِّناعات، فإِهمال أَدب الأَديب في جملته تقصير من النَّاقد، والتَّشنيع عليه ببعض سقطاته تقصيرٌ في جانب الحقِّ، وهو عيْب من ناحيتين:

ناحية فنِّيَّة: وهي تُلزم النَّاقد بالنَّظر في جملة ما يقول الأَديب وما يَنتجه.

وناحية خُلقيَّة: وهي تمسُّ الإِنصاف نفسَه، فيكون موقف النَّاقد من المنقود موقف التحدِّي له، والنِّقمة عليه[51].

وشيْءٌ آخر يترتَّب على اقتصار النَّاقد على معالجة جزْءٍ من النَّصِّ، وهو عدم اكتشافه أَنَّ بعض العيب الَّذي وجده في كلام الأَديب قد يمحوه ما يكون حوله من الكلام الحسن، فقد ((يُضطرُّ الشَّاعر المُفلق، والخطيب المصقع، والكاتب البليغ، فيقع في كلام أَحدهم المعنى المستغلَق، واللَّفظُ المستكرَه، فإِن انعطفت عليه جنبتا الكلام غطَّتا على عواره، وسترتا من شينه))[52]، وهذا رأْيٌ نقديٌّ طريف للمبرِّد، وإِن كان هو نفسه لم يُحسن استغلاله؛ لأَنَّ الكشف عن العيوب كان إِحدى مَهمَّات النَّقد الكبرى، وقد أَدرك المبرِّد ما في رأْيه هذا من ضعف فردَّ على نفسه بأَنَّه يسلِّم أَنَّ الكلام القبيح يزداد قُبحا إِذا وقع بين الكلام الجميل من حوله، فليست المسأَلة مسأَلة خفاءٍ، وإِنَّما مردُّها إِلى اغتفار القُبح من أَجل الجمال[53]، ((وإِن شاءَ قائل أَن يقول: بل الكلام القبيح في الكلام الحَسن أَظهر، ومجاورته له أَشهر، كان ذلك له، ولكن يُغتفر السَّيِّئُ للحَسن، والبعيد للقريب))[54].

50 ـ ينظر:الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ص47، 48.
51 ـ ينظر: بلاغة أرسطو بين العرب واليونان، د. إبراهيم سلامة، ص221.
52 ـ الكامل في اللغة والأدب، المبرد:77/1.
53 ـ ينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د. إحسان عباس، ص93.
54 ـ الكامل في اللغة والأدب، المبرد:77/1.

القدم والحداثة: المبرِّد واحد من علماءِ القرن الثَّالث الهجري الَّذين اعتمدوا مذهب التَّسوية بين الشِّعر القديم والمُحدَث، ووقفوا بقوَّة في وجه المتعصِّبين للشِّعر القديم، وكان صريحا في موقفه التَّوفيقي بين الفريقين، فما استدعاه الموضوع من شعرٍ لقديم أَو مُحدَث أَورده[55]، قال: ((وليس لقدم العهد يُفضَّل القائل، ولا لحدثان عهد يُهتضَم المصيب، ولكن يُعطى كلٌّ ما يستحقُّ))[56].

السَّرقات الشِّعريَّة: تناول المبرِّد قضيَّة السَّرقات فتحدَّث عنها بشيْءٍ من التَّفصيل، وذكر شيئا طريفا لم يشر إليه أَحد من النُّقَّاد قبله فبين أَنَّ السَّرقة لا تقتصر على سرقة الشَّاعر لمعانيه من شعراء آخرين فقط، بل إنَّ بعض الشُّعراء يستطيعون أَن يسرقوا معانيهم من النَّثر، فقول أَبي العتاهية في قصيدته الرَّائيَّة[من السَّريع]:

الْخَيْرُ مِمَّا لَيْسَ يَخْفَى هُوَ الْـ * ـمَعْرُوفُ وَالشَرُّ هُوَ الْمُنْكَرُ**[57]

مأْخوذ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، عن رسول الله ﷺ أَنَّه قال:***((يا عبدَ الله كَيْفَ بكَ إِذَا بَقِيتَ فِي حُثَالَةٍ مِنَ النَّاسِ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ وَأَمَانَاتُهُمْ، وَصَارَ النَّاسُ هَكَذَا، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِه، فَقُلْتُ: مُرْنِي يَا رَسُولَ الله، فَقَالَ: خُذْ مَا عَرَفْتَ، وَدَعْ مَا أَنْكَرْتَ، وَعَلَيْكَ بِخُوَيِّصَةِ نَفْسِكَ، وَإِيَّاكَ وَعَوَامَّهَا))***[58].

وكان المبرِّد معجبا بالشَّاعر الحاذق الَّذي يأْخذ المعنى ممَّن سبقه فيضفي عليه من عنده ما يحسِّنه، فقول أَبي تمَّام[من الكامل]:

عُمْرِي لَقَدْ نَصَحَ الزَّمَانُ وَإِنَّهُ * لَمِنَ الْعَجَائِبِ نَاصِحٌ لا يُشْفِقُ**[59]

مأْخوذ من قول ابن أَبي عُيَيْنة[من البسيط]:

إنّ اللَّيَالِيَ وَالأَيَّامَ أَنْفُسَهَا * عَنْ غَيْرِ أَنْفُسِهَا لَمْ تَكْتُمِ الْخَبَرَا**[60]

ولكنَّ أَبا تمَّام ((زاد بقوله: " نَاصِحٌ لا يُشْفِقُ" على قول ابن أَبي عيينة شيْئاً طريفاً، وهكذا يفعل الحاذق بالكلام))[61].

عيار الشِّعر، ابن طباطبا

تناول ابن طباطبا بالبحث بعض القضايا الَّتي تتعلَّق بالشِّعر، متَّفقا في تناوله لتلك القضايا مع غيره من النُّقَّاد في بعضها، ومخالفا لهم في بعضها الآخر، وتُظهِر دراسته لتلك القضايا أَنَّه ناقد علمي، يؤْمن بالأسباب والمقدِّمات، ولا يعير اهتماما إِلا للشَّيْءِ المعلَّل.

55 – ينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د. إحسان عباس، ص90.
56 – الكامل في اللغة والأدب، المبرد:79/1.
57 – ديوان أبي العتاهية، ص151.
58 – مسند الإمام أحمد بن حنبل:212/2.
59 – ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي:394/4.
60 – الكامل في اللغة والأدب، المبرد:12/2.
61 – المصدر السابف:36/2 .

قبول الشِّعر أَو ردُّه: وضع ابن طباطبا معيارا واضحا لقبول الشِّعر أَو ردِّه قُوامه ربط الأَسباب بالمسبَّبات؛ لأنَّ استحسان الشِّعر أَو استهجانه يعودان إِلى أَسباب حقيقيَّة في الشِّعرِ، والذَّوقُ إِذا استحسن أَو استهجن فلهذه الأَسباب، وهو بالتَّالي ناقد موضوعي، يرى أنَّ للجمال أَسبابا يُمكِن التماسها ومعرفتها، وأنَّ للقبح أَسبابا كذلك[62]، وصاحب الفهم الثَّاقب، والذَّوق الحسَّاس، هو وحده القادر على تمييز جيِّد الشِّعر من رديئه، وقبوله أَو ردِّه، وميزان الشِّعر أَن يُورد على الفهم الثَّاقب، فما قبله واصطفاه فهو واف، وما مجَّه ونفاه فهو ناقص، والسَّبب في ذلك أَنَّ كل حاسَّة من حواسِّ البدن مهيَّأَةٌ بقدرة الله ﷻ لقبول ما يَتَّصل بها ممَّا طُبعت له إِذا كان وروده عليها ورود اً لطيفاً باعتدال لا جور فيه، وبموافقة لا مضادَّة معها، وإِذا كان الشِّعر مُصاغا بأُسلوب مأْلوف من الكلام، ومشتملا على العدل والصَّواب والحقِّ، فإِنَّ الفهم يأْنس به، ويتشوَّف إِليه، ويتجلَّى له، أَمَّا إِذا كان مشتملا على الكلام الجائر، والخطأ الباطل، والمحال المجهول المنكر، فإِنَّ الفهم ينفر منه، ويصدأُ له[63].

الكلام مكوَّنٌ من لفظ ومعنى، ولا يمكن له أَن يستقيم وينال القبول إِلا إِذا كان قائما على تكامل هذين الشِّقَّين، واتِّساقهما في النَّظم، وهنا نجد ابن طباطبا منحازا للمنادين بالمساواة، القائلين بأَنَّ الشِّعر لا يكتسب حسنه وروعته من اللَّفظ وحده، ولا من المعنى وحده، وإِنَّما يتمُّ له ذلك من خلال التَّوفيق بين الاثنين في أُسلوب بديع التَّأْليف، ((فإِذا كان الكلام الوارد على الفهم منظوماً، مصفَّى من كدر العِيِّ، مقوَّماً من أَوْد الخطأ واللَّحن، سالماً من جور التَّأْليف، موزوناً بميزان الصَّواب لفظاً ومعنى وتركيباً اتَّسعت طُرقه، ولطُفَت موالجُه، فقبله الفهم وارتاح له، وأَنس به، وإِذا ورد عليه على ضدِّ هذه الصِّفة، وكان باطلا مُحالاً مجهولاً، انسدَّت طرقه ونفاه واستوحش عند حسِّه به، وصدئَ له، وتأَذَّى به))[64].

ثقافة الشَّاعر: الشِّعر موهبة، وهو ملَكة من الملَكات الَّتي خصَّ الله ﷻ بها أُناسا دون آخرين، ولكنَّ هذه الملَكة لن تكون مفيدة إِلا إِذا صُقلت وأُسندت بما يعاضدها ويقوِّيها، وصاحب هذه الملَكة لن يستطيع قرض الشِّعر إِلا إِذا أَعدَّ لذلك عدَّته، واستعان على ذلك بما يمكِّنه منه، فكما أَنَّ لكلِّ صناعة أَدوات يجب على الصَّانع إعدادها لكي يتمكَّن من ممارسة صناعته، فإِن للشِّعر أَدوات يجب إِعدادها قبل مِراسه وتكلُّف نظمه، فمن لم يكن متمكنا من تلك الأَدوات لم يَكمُل له ما يتكلَّفه منه، وبان الخلل فيما يَنظمُه، ولحقته العيوب من كلِّ جهة.
وتلك الأَدوات متعدِّدة ومتنوِّعة منها:

62 ـ ينظر: أسس النقد الأدبي عند العرب، د. أحمد أحمد بدوي، ص94.
63 ـ ينظر: عيار الشعر، لا بن طباطبا العلوي، ص19، 20.
64 ـ عيار الشعر، لا بن طباطبا العلوي ، ص 20، 21.

- التوسُّع في علم اللُّغة، والبراعة في فهم الإعراب؛ لأَنَّ اللُّغة هي مفتاح الشِّعر، وإذا لم يكن الشَّاعر متمكِّنا من لغته فلن يستطيع ولوج مضماره.
- الرِّواية لفنون الآداب، والمعرفة بأَيَّام النَّاس وأَنسابهم، ومناقبهم ومثالبهم، فقد اتَّفق النَّقَّاد تقريبا على أَنَّ ذلك من الأُمور المهمَّة الَّتي يجب أَن يلمَّ بها كلُّ شاعر.
- الوقوف على مذاهب العرب في تأْسيس الشِّعر، والتَّصرُّف في معانيه، وسلوك مناهجها في كلِّ ما يتَّصل به؛ فإنَّ ذلك ممَّا يغذِّي تلك الملَكة ويقوِّيها.
- إِيفاءُ كلِّ معنى حظَّه من العبارة، وإِلباسه ما يشاكله من الأَلفاظ حتَّى يبرز في أَحسن زيٍّ وأَبهى صورة.
- تجنيب الشِّعــر ما يشينه من سَفساف الكلام وسخيف اللَّفظ، حتَّى لا يكون متفاوتا مرقوعاً، بل يكون كالسَّبيكة المفرَّغة، فإِذا ما تمَّ له ذلك فإِنَّ معانيه تُسابق أَلفاظه، ويلتذُّ الفهم بحسن معانيه كالتذاذ السَّمع بمُونق لفظه[65].

نقد الشِّعر، قدامة بن جعفر

يبدو أَنَّ الثَّقافة اليونانيَّة كانت من أَبرز المؤثِّرات في التَّكوين العلمي والفكري لقدامة بن جعفر، فقد شهد النِّصف الأَخير من القرن الثَّالث الهجري ترجمة الكثير من الكتب اليونانيَّة إِلى اللُّغة العربية، وكان من بينها كتابا "الخطابة" و"الشِّعر" لأَرسطو، ومن البيِّن أَنَّ قدامة اطَّلع على هذين الكتابين، فانكبَّ على قراءَتهما، وانتفع بأُصولهما ورسومهما في نقد الشِّعر العربي[66].

وهذه الثَّقافــة نفسها، إِلى جانب ثقافته العلميَّة المتميِّزة، وغزارة المادَّة الأَدبيَّة الَّتي اكتسبها من خلال اتِّصاله بعلماءِ القرن الثَّالث الهجري، هي الَّتي جعلتــه يشارك في النَّقد الأَدبي، ويؤلِّف كتابه "نقد الشعر" الَّذي لعلَّه صدًى لكتاب " الشِّعر" لأَرسطو.

بدأَ قدامة كتابه بتوضيح السَّبب الَّذي دفعه إِلى تأْليفه فبَّين أَنَّه لم يجد بين من كتبوا في النَّقد أَحداً وضع في نقد الشَّعر وتخليص جيِّده من رديئه كتاباً، على الرَّغم من أَنَّهم كتبوا في كلِّ ما يتعلَّق بأُمور الشِّعر الأُخرى، أَمَّا هذا العلم فإِنَّهم يخبطون فيه خبط عشــواء، وقليلاً ما يُصيبون؛ مع أَنَّ الكلام في هذا الأَمر أَخصُّ بالشِّعر من سائر الأَسباب الأُخرى[67].

النَّقد عند قدامة "علم"، ومجاله تخليص الجيِّد من الرَّديء في الشِّعر، أَمَّا سائر ما يتعلَّق بالشِّعر من علوم العروض والوزن والقوافي والغريب واللُّغة والمعاني، فليس ممَّا

65 ـ ينظر: المصدر السابق، ص6، 7.
66 ـ ينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، طه أحمد إبراهيم، ص126.
67 ـ ينظر: نقد الشعر، قدامة بن جعفر، ص61، 62.

يدخـــــــــل في باب النَّقـــــــــد إلا على نحو عارض ـــــــــ على حدِّ قوله ـــ وقد أَكثر النَّاس في التَّأْليف في تلك العلوم وقصَّروا في علم النَّقد.

وطبقا لثقافة قدامة المستمدَّة من المنطق، والَّتي تحتِّم على كلِّ باحث أَن يحدِّد الموضوع الَّذي يتصدَّى لبحثه، فقد وضع حدًّا للشعر، وصاغ له تعريفا مختصَرا في لفظه، وافيا في معناه، فقال: ((إِنَّه قول موزون مقفًّى يدلُّ على معنى))[68].

إِنَّ الشِّعر كلام، ولكنَّه كلام له ضوابط تحُدُّه وتميِّزُه عن غيره من الكلام، فهو:

كلام موزون، فينفصل بذلك عمَّا ليس بموزون.

مقفًّى، فينفصل بذلك عمَّا هو موزون ولا قوافي له.

دالٌّ على معنى، فينفصل بذلك عمَّا يكون موزوناً مقفًّى ولا يدلُّ على معنى.

فإِذا لم يكن الكلام مستوفياً لهذه الضَّوابط كلِّها لا يُسمَّى شِعراً، وهي الَّتي تجعل منه شعرا جيِّدا أَو رديئاً طبقا لجودتها أَو رداءَتها.

- فاللَّفظ يجب أَن يكون سمحاً، سهل مخارج الحروف من مواضعها، عليه رونق الفصاحة، مع الخلوِّ من البشاعة، فمتى كان كذلك استحقَّ أَن يوصف بالجودة، أَمَّا إِذا كان ملحوناً وجارياً على غير سبيل الإِعراب واللُّغة، أَو كان وحشياً قائماً على المعا ظلة، فقد انتقل من الجيِّد إِلى الرَّديءِ.
- والوزن يجب أَن يكون سهل العروض، فيه ترصيع، فإِذا اختلَّ فيه شرط من هذين الشَّرطين بأَن كان مُخالفا لما تواضع عليه الشُّعراءُ فقد اختلَّ وأَصبح رديئاً.
- والقافية لا تكون جيِّدة إِلا إِذا كانت عذْبة الحرف، سلِسة المخرج، فيها ترصيع، وعيوبها هي العيوب القديمة من إِقواءٍ، وإِيطاءٍ، وسناد.
- أَمَّا المعنى فهو الشُّغل الشَّاغل لقدامة، وما دام قد بنى كتابه وِفق قواعد المنطق فلا بدَّ إِذن من حصر المعاني قدر الإِمكان، وتحديد الصِّفات الَّتي تجعل منها جيِّـــدة أَو رديئَة، وقد ذكر أَنَّ المعاني لا تكون جيِّدة إِلا إذا اشتملت على الصِّفات الآتية: صحَّة التَّقسيم ـــ صحَّة المقابلات ـــ صحَّة التَّفسير ـــ التَّتميم ـــ المبالغة ـــ التَّكافؤُـــ الالتفات، فإذا لم تتوفَّر في المعاني هذه الصِّفات جاءت ناقصة، وأَدَّت إلى فساد الشِّعر [69].

الموازنة بين أَبي تمَّام والبحتري ــ الآمدي

يُعتبر كتاب "الموازنة" من أَهـــمِّ الكتب الَّتي أُلِّفت في النَّقد الأدبي خلال القرن الرَّابع الهجري بالنظر لما يمثِّله هذا الكتاب من نقلة نوعيَّة في مجال الدِّراسات النَّقديَّة، حيث أَنَّه

68 ـ المصدر السابق، ص64.
69 ـ ينظر: نقد الشعر، قدامة بن جعفر، ص64 وما بعدها.

يمتاز عمَّا سبقه بأَنَّه أَوَّل دراسة نقديَّة منهجيَّة اعتمدت الأُسلوب العلمي السَّليم في معالجة ما تناولته من قضايا النَّقد الَّتي جدَّت على السَّاحة الأَدبيَّة في ذلك العصر؛ بسبب ما وصل إِليه الفكر العربي خلال هذه الحِقبة من النُّضج والازدهار، وبسبب ذلك الصِّراع الَّذي نشب بين النُّقَّاد حول اتِّجاهين أَو مذهبين في الشِّعر:

أَوَّلهما: مذهب القائلين بضرورة المحافظة على عمود الشِّعر، والتَّمسُّك بالمنهج الَّذي تُبنى عليه القصيدة العربيَّة منذ العصر الجاهلي.

وثانيهما: مذهب من يحبِّذون التَّجديد الفنِّي في بناءِ القصيدة، أَو ما يُعرف بالصَّنعة البديعيَّة في الشِّعر، هذا الاتِّجاه الَّذي بلغ ذِروته عند أَبي تمَّام في هذا القرن حتَّى أَصبح لا يرى الشِّعر إِلا ما اشتمل على حِلية بديعيَّة تزيِّنه[70].

وعلى الرَّغم من أَنَّ الآمدي أَراد بكتابه (الموازنة) أَن يكون ميزان عدل، يساعد على الفصل بين المتخاصمين حول أَبي تمَّام والبُحتري، فإِنَّ الكتاب تجاوز ذلك إِلى الخوض في كثير من شؤُون الشِّعر العربي بعامَّة، والمُحدَث منه بخاصَّة، ومن هنا فإِنَّ قيمته تكمُن في تصدِّيه لبحث هذه المسائل الَّتي جدَّت في الشِّعر العربي من عصر إِلى عصر، بحثا مستفيضا قائما على الذَّوق والفكر والرِّواية، رابطا كلَّ عصور الأَدب برباط روحيٍّ متين.

وقد بيَّن أَوَّلا السَّبيل الَّتي يجب أَن يسلكها كلُّ من يريد أَن يخوض في مجال النَّقد، ويستطيع من خلالها بلوغ غايته، ويدرك أَنَّه قد أَصبح ناقداً يحقُّ له معالجة النُّصوص، وإِصدار الأَحكام النَّقديَّة السَّليمة عليها، فطالب النَّاقد بأَن يبحث عن السَّبب الَّذي بنى عليه العلماء حكمهم حين فضَّلوا بعض الشُّعراء على بعض، وذلك بأَن ينظر في شعر الشُّعراء المفضَّلين على غيرهم، فإن علم من ذلك ما علم أولئك العلماء، ولاح له الطَّريق الَّتي بها قدَّموا من قدَّموا وأَخَّروا من أَخَّروا، فقد تحقَّق له ما أَراد[71]، ومعنى هذا أَنَّ على النَّاقد أَن يرجع إِلى ما صدر عن السَّابقين من أَحكام؛ فيلمَّ بالعِلل والأَسباب الَّتي بُنيت عليها، ويجعلها نِبراسا يهتدي به في نقده، فإِن لم يفعل ذلك فليس بناقد، وإِن هو وصل إِلى ما وصل إِليه السَّابقون، وأَلمَّ بتلك العلل والأَسباب، فقد أَصبح ناقدا يستطيع النَّظر في الشِّعر، ونقده، وإِصدار الحكم عليه، ولكنَّ عمله لن يكون مكتملا إِلا إذا تقيَّد بالضَّوابط الآتية:

القراءَة الدَّقيقة للنَّصِّ: إِذ يجب على النَّاقد أَن يتمعَّن جيِّدا في النَّصِّ الَّذي يريد نقـــده، وأَن يقرأَه قراءَةً متأَنِّيَّة يستطيـــع من خلالها بلوغ الغاية المنشودة، وهي فهم النَّصِّ فهماً جيِّدا، واكتشاف ما به من أَخطاءٍ في اللَّفظ والمعنى.

70 ـ ينظر: قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، د. محمد زكي العشماوي، ص341.
71 ـ ينظر: الموازنة بين أبي تمام والبحتري، الآمدي، ص377.

عدم التَّعميم في الحكم بأَفضليَّة شاعر على آخر، والاقتصار في ذلك على المعنى الواحد أَو القصيدة الواحدة، بشرط أَن تكون القصيدة متَّفقة مع نظيرتها في الوزن والقافية وإِعراب القافية[72].

وقد التزم الآمدي بهذه الضَّوابط الَّتي حدَّدها وآل على نفسه أَلا يعمِّم في الحكم على الإطلاق مهما كانت الأَسباب، قال: ((وأَنا أَذكر بإِذن الله الآن في هذا الجـزءِ المعاني الَّتي يتَّفـق فيها الطَّائيَّان؛ فأُوازن بين معنى ومعنى وأَقول: أَيُّهما أَشعـر في ذلك المعنى بعينـه، فلا تُطالبنـي أَن أَتعـدَّى هـذا إِلى أَن أُفصح لك بأَيِّهما أَشعر عندي على الإِطلاق، فإِنِّي غير فاعل ذلك))[73]، وبذلك يكون الآمدي قد رسم صورة واضحة للمنهج الَّذي سيسلكه في الموازنة بين الشَّاعرين، والذي يجب على كلِّ ناقد أَن يتَّبعه عند نقد النُّصوص بعامَّة، والموازنة بين شاعرين بخاصَّة، هذا المنهج قُوامه النَّظر في المعنى الَّذي اشترك فيه الشَّاعران، أَو في قصيدتين لهما متَّفقتين في الوزن والقافية، والحكم من خلال ذلك بالأَسبقيَّة لأَحد الشَّاعريْن، أَمَّا الحكم على العموم فيتركه للقارئ وذوقه الخاصِّ بشرط أَن يكون ملمَّا بالسُّبل الَّتي تمكِّنه من ذلك، وهو بذلك يرجع إِلى ما اشترطته أُمُّ جُندب في حكومتها بين زوجها امرئ القيس، وضيفه علقمة الفحل، وإِلى ما كان يشترطه شعراءُ النَّقائض من أَمثال الفرزدق وجرير على أَنفسهم حين يردُّون على خصومهم من أَن يلتزموا نفس الوزن الَّذي صنعوا فيه قصائدهم، ونفس القافية.

وإِذا كانت أُمُّ جُندب معذورة في ذلك لأَنَّها كانت على الفِطرة، وإِذا كان الشُّعراءُ معذورون أَيضا، ولا حرج عليهم في أَن يتقيَّدوا بذلك ما دام كلٌّ منهم يريد أَن يُثبت أَنَّه أَقدر من خصمه على القول، فإِنَّ النُّقَّاد من أَمثال الآمدي كان من الواجب عليهم أَن يتحرَّروا من هذا القيد، فالموازنة الصَّحيحة بين شاعريْن أَو شعراءَ تقتضي أَن يقوِّموا شِعر الشَّاعر كلِّه تقويما عاماً، وقد أَدرك الآمدي بعدُ في كتابه خطأَ هذا المنهج فعدَّله حين جاءَ إِلى الموازنة بين الشَّاعريْن وهي الغرض الأَساس من كتابه، وأَخذ في الموازنة بين المعاني موزَّعة على موضوعات الشِّعر، وإِن كان في تلك الموازنات لم يضع مقاييس ثابتة، وإِنَّما كانت أَحكامه مستمدَّة من ذوقه الخاصِّ[74]، قال: ((وقد انتهيت الآن إِلى الموازنة، وكان الأَحسن أَن أُوازن بين البيتيـن أَو القطعتيـن، إِذا اتَّفقتـا في الـوزن والقافيـة وإِعراب القافيـة، ولكنَّ هـذا لا يكـاد يتَّفـق مع اتِّفـاق المعاني الَّتي إِليها المقصد، وهي المرمى والغرض))[75].

72 – ينظر: الموازنة بين أبي تمام والبحتري، الآمدي، ص11، 12.
73 – المصدر السابق، ص372.
74 – ينظر: معالم في النقد الأدبي، د. مصطفى الصادي الجويني، ص183، 184.
75 – الموازنة بين أبي تمام والبحتري، الآمدي، ص384.

وأخيرا أثار الآمدي مسألة نقديَّة هامَّة وهي: هل في إمكان النَّاقد أن يُصدر حكما صادقا على شاعريْن، ويبيِّن أيُّهما أشعر من الآخر؟ أم أنَّ هذا ليس في مقدور النُّقَّاد؟ وقد وصل الآمدي إلى قناعة تامَّة بأنَّ ذلك ليس في الإمكان؛ لأنَّ الفيصل في معالجة أيِّ نصٍّ، والحكم عليه هو الذَّوق، وقد أقرَّ بأنَّه لم يستطع أن يحكم للبُحتري أو أبي تمَّام على الآخر بأنَّه أشعر منه، وأنَّ النَّاس أبدا مختلفون فيهما، وهذا الاختلاف مرجعه إلى مذهبهما في الشِّعر، فكلٌّ يحكم حسب ذوقه، ومن الصَّعب إقناع شخص بتغيير مذهبه وصدِّه عنه[76].

الآمدي ناقد موضوعي، يلتمس أسباب الحُسْن، ويعلِّل لما يراه من مناظر الجمال إلا في النَّادر، عندما يحسُّ ولا يستطيع أن يبين عن أسباب هذا الحسِّ، لأنَّه لم يكتشفه بعد، ولكنَّ موضوعيَّة الآمدي ليست ملزمة في كلِّ وقت، لأنّ بعض الصِّفات الواجب توفُّرها في الشِّعر الجيِّد ممَّا لا يستطيع الإبانة عنها ناقد شاعر، ولا يقدر على أن يبرهن على دعواه فيها، وإنَّما يحكم بذلك حكما ينبعث عن ذوقه الَّذي ألِف النُّصوص الممتازة، والأساليب الأدبيَّة الرَّفيعة[77]، فقد ((يتقارب البيتان الجيِّدان النادران، فيعلم أهل العلم بصناعة الشِّعر أيُّهما أجود إن كان معناهما واحداً، أو أيُّهما أجود في معناه إن كان معناهما مختلف))[78]، فمن الواجب أن يُقضى بالعلم بالشِّعر لمن عُرف بكثرة النَّظر فيه، وطول الملابسة له، والمعرفة بأغراضه، وأن يُسلَّم له الحكم فيه، ويُقبل منه ما يقوله، ويعمل على ما يمثله، ولا ينازَع في شيء من ذلك[79].

وهو بالتفاته إلى الذَّوق، وتعويله عليه في الحكم على الشِّعر، يكون قد عاد إلى ما كان عليه النَّقد في بداياته الأولى: منذ العصر الجاهلي وحتَّى عصر بني أُميَّة، حين كانت الأحكام تأتي بسيطة ساذجة نابعة من ذوق النَّاقد، ولا وجود فيها لعلَّة أو سبب، لكنَّ ذلك لا يعني أنَّ الآمدي قد أطلق العنان لكلِّ ذوق في الحكم على الشِّعر، بمعنى أنَّ النَّاقد إذا استحسن النَّصَّ بذوقه فليست هناك أسباب حقيقيَّة جعلت النَّصَّ جميلا، بل انتبه لهذا الأمر، فجعل النُّصوص نوعين:

نصوص لا تحتاج إلى ذكر علَّة أو سبب بل يستطيع النَّاقد الحكم عليها حكما ذوقياً غير معلَّل، وهي قليلة جداً، وأخرى يستطيع فيها النَّاقد التَّعليل وإبانة الحجَّة، وهي كثيرة جداً.

كما اشترط في النَّقد الذَّوقي أن يكون ذوقا مُرهفا طالت خبرته، ودربته، وعشرته للأدب الرَّفيع[80].

خاتمة البحث

76 ـ ينظر: معالم في النقد الأدبي، د. مصطفى الصادي الجويني، ص182.
77 ـ ينظر:أسس النقد الأدبي عند العرب، د. أحمد أحمد بدوي، ص96.
78 ـ الموازنة بين أبي تمام والبحتري، الآمدي، ص374.
79 ـ ينظر: المصدر السابق والصفحة.
80 ـ ينظر: أسس النقد الأدبي عند العرب، ص96.

من خلال هذه الوقفة مع الفكر النقدي عند العرب في القرون الهجرية الأولى يمكننا أن نستخلص النقاط التالية:

- بدأ الفكر النقدي ينضج أسوة بالعلوم الأخرى التي اهتمَّ بها العرب بعد ظهور الإسلام.
- في بدايات القرن الثاني الهجري زاد اهتمام النقاد بالبحث، وما أن شارف هذا القرن على نهايته حتى بدأوا بتدوين أفكارهم وآرائهم.
- بدأت مؤلفات النقاد تشق طريقها مشتملة على كثير من القضايا النقدية التي تشغل بال النقاد في ذلك الوقت.
- تباينت مواقف أولئك النقاد حول القضايا المدروسة متفقة في بعضها، ومختلفة في أخرى.
- أدى اختلاف النقاد حول الشعراء إلى ظهور مؤلفات بالخصوص (الموازنة بين أبي تمام والبحتري) مثلا.
- في القرن الرابع الهجري تأثر الفكر النقدي العربي بأفكار أخرى منقولة عن الأمم المجاورة نتيجة لحركة الترجمة الغزيرة التي شهدتها تلك الفترة.
- يعد الفكر النقدي الذي أنتجته تلك العقول اللبنة الأولى والركيزة الأساس الفكر النقدي العربي مر العصور.

مصادر البحث

القرآن لكريم.

- الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديما وحديثا، د. عفيف عبد الرحمن، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، د.ت.
- أسس النقد الأدبي عند العرب، د. أحمد أحمد بدوي، مكتبة نهضة مصر، الطبعة الثانية، 1962م.
- الإعجاز والإيجاز، أبو منصور عبد الملك عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، الطبعة الثالثة، دار الغصون، بيروت / لبنان، 1405هـ، 1985م.
- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق/ سمير جابر، دار الفكر، الطبعة الثانية، بيروت، د.ت.
- لبيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، وضع حواشيه/ موفق شهاب الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ، 1998م.

- الشعر والشعراء، للعلامة أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، حقق نصوصه وعلق حواشيه وقدم له/ الدكتور عمر الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1418هـ، 1997م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق/ محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة، 401هـ،1981م.
- القاضي الجرجاني والنقد الأدبي، د. عبده عبد العزيز قلقيلة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1973م.
- الكامل في اللغة والأدب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق/ د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1419هـ، 1999م.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ضبطه وصححه ووضع حواشيه/ فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1418هـ، 1998م.
- الموازنة بين أبي تمام والبحتري، للحسن بن بشر الآمدي، تحقيق/ محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العلمية، بيروت، 1363هـ، 1944م.
- بلاغة أرسطو بين العرب واليونان، دراسة تحليلية نقدية تقارنية، د. إبراهيم سلامة، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية، 1952م.
- تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د. إحسان عباس، دار الثقافة. بيروت، الطبعة الرابعة، 1412هـ، 1992م.
- تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، د. طه أحمد إبراهيم، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.
- دراسات في النقد العربي، د. عثمان موافى، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2004م.
- ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق/ محمد عبده عزام، دار المعارف، الطبعة الخامسة، د.ت.ديوان أبي العتاهية، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1406 هـ، 1986م.
- ديوان الفرزدق، دار صادر، بيروت، د.ت.
- ديوان النابغة الذبياني، شرح و تحقيق/ عباس عبد الساتر، ماجستير في اللغة العربية وآدابها، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1416 هـ، 1996م.

- طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، تحقيق/ محمود محمد شاكر، مطبعة دار المعارف، د. ت.
- عيار الشعر، لأبي الحسن محمد أحمد بن طباطبا العلوي، تحقيق/ الدكتور عبد العزيز ابن ناصر المانع، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، السعودية، 1405هـ، 1985م
- قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، د. محمد زكي العشماوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د.ت.
- كتاب الحيوان، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، وضع حواشيه/ محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1419هـ، 1998م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، مؤسسة قرطبة، القاهرة، 1313هـ.
- معالم في النقد الأدبي، مصطفى الصاوي الجويني، منشأة المعارف، الإسكندرية، د.ت.
- نشوء النقد الأدبي وتطوره، د. رامز الحوراني، جامعة سبها، الإدارة العامة للمكتبات والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الأولى، 1996م.

الفهـــــــــــرس

ر.ت	عنوان البحث	اسم الباحث	الصفحة
1	"تحفة الأنام بتوريث ذوي الأرحام" دراسةً وتحقيقاً	أ. مختار عبدالسلام أبوراس	5
2	الاستفهام ودلالاته في شعر خليفة التليسي	د. عبدالله محمد الجعكي د. محمد سالم العابر	39
3	قراءة في التراث النقدي عند العرب حتى أواخر القرن الرابع الهجري	د. بشير أحمد المِيري	49
4	الكناية في النظم القرآني (نماذج مختارة)	د . مصطفى رجب الخمري	72
5	حذف حرف النداء "يا" من اسم الإشارة واسم الجنس واختلاف النحاة في ذلك	أ. امباركة مفتاح التومي أ. عبير إسماعيل الرفاعي	101
6	(أيّ) الموصولة بين البناء والإعراب	أ. آمنة عمر البصري	114
7	موج النحـــــــــاة في الوصـــــــف بـــــــــــ(إلا)	د. حسن السنوسي محمد الشريف	131
8	تقنية المعلومات ودورها في تنمية الموارد البشرية بجامعة المرقب	أ. سالم مصطفى الديب أ. أحمد سالم الأرقع	151
9	دراسة الحل لمنظومة المعادلات التفاضلية الخطية باستخدام تحويل الزاكي	أ. عبدالله معتوق محمد الأحول أ. فاروق مصطفى ابوراوي	176
10	أساليب مواجهة ضغوط الحياة اليومية لدى طالبات كلية التربية	د. آمنة محمد العكاشي د. صالحة التومي الدروقي د. حواء بشير أبوسطاش	188
11	برنامج علاج معرفي سلوكي مقترح لخفض مستوى القلق لدى عينة من المراهقات	د. جمال منصور بن زيد أ. تهاني عمر الفورتية	210
12	هجرة الكفاءات الليبية إلى الخارج	د. ميلاد امحمد عريشه	230
13	صيد الأسماك في منطقة الخمس وآثاره الاقتصادية	د. الهادي عبدالسلام عليوان د. الصادق محمود عبدالصادق	250

267	Rabia O. Eshkourfu Layla B. Dufani Hanan S. Abosdil	Determination of (ascorbic acid) in Vitamin C Tablets by Redox Titration	14
274	Hawa Imhemed Ali Alsadi	Physical and Chemical Properties Analysis of Flax Seed Oil (FSO) for Industrial Applications	15
284	Osama A. Sharif Ahmad M. Dabah	Catalytic Cracking of Heavy Gas Oil (HGO) Fraction over H-Beta, H-ZSM5 and Mordinite Catalysts	16
288	Elhadi Abduallah Hadia Omar Sulaiman Belhaj Rajab Emhemmed Abujnah	Monitoring the concentration (Contamination)of Mercury and cadmium in Canned Tuna Fish in Khoms, Libyan Market	17
321	أ. ليلى منصور عطية الغويج د. زهرة بشير الطرابلسى	EFFECT CURCUMIN PLANT ON LIVER OF RATS TREATED WITH TRICHLOROETHYLENE	18
329	Mohamed M. Abubaera	Comparative study of AODV, DSR, GRP, TORA AND OLSR routing techniques in open space long distance simulation using Opnet	19
344	A.S. Deeb Entesar Omar Alarabi A.O.El-Refaie	Solution of some problems of linear plane elasticity in doubly-connected regions by the method of boundary integrals	20
368	Amal Abdulsalam Shamila Soad Muftah Abdurahman Fatma Mustafa Omiman	Common Fixed-Point Theorems for Occasionally Weakly Compatible Mappings in Fuzzy 2-Metric Space	21
379	Somia M. Amsheri	THE STARLIKENESS AND CONVEXITY OF P-VALENT FUNCTIONS INVOLVING CERTAIN FRACTIONAL DERIVATIVE OPERATOR	22

391	Ismail Alhadi Aldeb Abdualaziz Ibrahim Lawej	Utilizing Project-Based Approach in Teaching English through Information Technology and Network Support	23
415	Foad Ashur Elbakay Khairi Alarbi Zaglom	An Acoustic Study of Voice Onset Time in Libyan Arabic	24
432	الفهرس		25

يشترط في البحوث العلمية المقدمة للنشر أن يراعى فيها ما يأتي :

- أصول البحث العلمي وقواعده .
- ألا تكون المادة العلمية قد سبق نشرها أو كانت جزءا من رسالة علمية .
- يرفق بالبحث تزكية لغوية وفق أنموذج معد .
- تعدل البحوث المقبولة وتصحح وفق ما يراه المحكمون .
- التزام الباحث بالضوابط التي وضعتها المجلة من عدد الصفحات ، ونوع الخط ورقمه ، والفترات الزمنية الممنوحة للتعديل ، وما يستجد من ضوابط تضعها المجلة مستقبلا .

تنبيهات :

- للمجلة الحق في تعديل البحث أو طلب تعديله أو رفضه .
- يخضع البحث في النشر لأولويات المجلة وسياستها .
- البحوث المنشورة تعبر عن وجهة نظر أصحابها ، ولا تعبر عن وجهة نظر المجلة .

Information for authors

1- Authors of the articles being accepted are required to respect the regulations and the rules of the scientific research.

2- The research articles or manuscripts should be original, and have not been published previously. Materials that are currently being considered by another journal, or is a part of scientific dissertation are requested not to be submitted.

3- The research articles should be approved by a linguistic reviewer.

4- All research articles in the journal undergo rigorous peer review based on initial editor screening.

5- All authors are requested to follow the regulations of publication in the template paper prepared by the editorial board of the journal.

Attention

1- The editor reserves the right to make any necessary changes in the papers, or request the author to do so, or reject the paper submitted.

2- The research articles undergo to the policy of the editorial board regarding the priority of publication.

3- The published articles represent only the authors' viewpoints.